

دير الملاك غبريال الشهير بدير أبي خشبة بجبل النقلون

دير الملاك غبريال هو من الأديرة القديمة. يقع في جبل النقلون بالقرب من عزبة قلمشاه¹. وهو يقع على ربوة صخرية مرتفعة عن مستوى عزبة قلمشاه. وتظهر حافة الوادي الخضراء محيطة بالجبل من الناحية الغربية للدير، على بعد 3 كم تقريباً من مدخل الدير الحالي². كما يذكر أميلينو أن الدير يقع في مكان منخفض عن دير سدمنت Sedmant³.

يذكر المؤرخ أبو صالح الأرمي عن جبل القلمون (الذي به دير الأنبا صموئيل) قائلاً: "الجبل به الشقيق يعرف بجبل النقلون"⁴. كما يذكر عثمان النابلسي عن دير النقلون فيقول: "دير النقلون يقع في الجبل القريب من قمبشا⁵، وهو بالشرق منها"⁶ إلا أن المقرئ يشير إلى هذا الجبل بأنه يعرف "بطارف الفيوم وهو يطل على بلدين يقال لهما أطفيح شيلا وشلا (من الأديرة المندثرة)، أن الدير يسمى باسم دير النقلون، ويقع في مغارة تعرف عندهم باسم مظلة يعقوب"⁷.

في وصف فانسليب لموضع الدير يذكر " أنه يبعد عن الفيوم مسافة ساعتين⁸ في الاتجاه الجنوبي الغربي، وهو قرب جبل النقلون، في الطريق إلى الدير نجد بعض المباني الفرعونية⁹ ".

⁶¹ ورد في القاموس الجغرافي للأستاذ محمد رمزي أن عزبة قلمشاه أصلها من توابع ناحية قلمشاه مركز اطسا بمحافظة الفيوم، ثم فصلت عنها في تاريخ عام 1228 هـ. بأسم العزبة تابع قلمشاه. ومن عام 1270 هـ بأسمها الحالي. راجع محمد رمزي (الأستاذ): القاموس الجغرافي قسم 2 ج3، مرجع سابق، ص90.

⁶² فتحى خورشيد (الدكتور) : كنائس وأديرة محافظة الفيوم، مرجع سابق، ص87.

³ Amelineau(P.c) : *LaGeographie del Egypte*, p273.

⁶⁴ أبي صالح الأرمي، تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن 12 بالوجه البحرى ج2 ص91

⁶⁵ جاء في القاموس الجغرافي أن قمبشا هو الاسم القديم للقرية التي تعرف حالياً بقرية قلمشاه الواقعة بمركز اطسا محافظة الفيوم. وقد وردت اسم قمبشا في تاريخ الفيوم وبلاده، وفي التحفة من الأعمال الفيومية، ثم حرف اسمها إلى قلمشاه. وردت في تربييع عام 933 هـ. ثم زيد على (كلمة) قلمشا الهاء في آخرها، فصارت قلمشاه وهو اسمها الحالي الذي وردت به في تاريخ (عمل مساحة). وهي كلمة تركية) عام 1230 هـ.

راجع في ذلك محمد رمزي (الأستاذ) القاموس الجغرافي قسم 2 ج3، المرجع المذكور، ص85.

⁶⁶ أبي عثمان النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده، مرجع سابق ، ص23.

⁶⁷ تاريخ أبو المكارم عن ما كتبه الأجانب والمؤرخون عن الكنائس والأديرة، ج4، القاهرة 2000م ص31.

⁶⁸ بحسب زمن رحلة فانسليب، حيث كانت الطرق وعرة المسير، وتحتاج إلى وقت طويل للسير فيها والوصول إلى هدف السائر. ولكن الآن الطريق ممهد للوصول إلى الدير خلال 30 دقيقة من دير العزب.

تسمية الدير

يسمى دير الملاك غبريال بجبل النقلون بدير الخشبة, فيذكر العلامة المقریزی " أن دير النقلون يقال له دير الخشبة, ودير غبريال الملاك¹⁰ " كما وردت هذه التسمية أيضاً عند بعض المؤرخين القدامى أمثال على باشا مبارك والفريد بتلر. كما يذكر أيضاً فانسليبي في رحلته أنه " سافر إلى دير الخشبة " ¹¹ ويرجح أمليانو أن تسمية الدير بالخشبة هي على أساس أن كلمة **QE** بالقبطية تعني خشبة أو بإضافة أداة التعريف **mn** فتصبح الكلمة بمعنى الخشب. ومن ثم يكون الأسم القبطي للدير هو **Monacthrion mnqe** بمعنى دير الخشب. وقد ورد في سبب تسمية الدير بالخشبة في كتاب السنكسار الحبشي فيقول " توجد خشبة في سقف الكنيسة لها علامة تشير إلى فيضان النيل, ففي وقت القداس ينقط منها ماء كثير إذا كان في تلك السنة رخاء, وإذا كان جوع يظهر ماء مثل العرق¹². وقد ورد نفس هذا الأمر في مخطوط محفوظ بالمتحف القبطي, نقله إلى العربية الراهب يوليوس ابن الحج حنا السنقاوى عن النص الحبشي. إلا أن الدكتور فتحى خورشيد ينتقد هذا الأمر ويعتبره أسطورة¹³.

مع تقديري للأستاذ الدكتور فتحى خورشيد ومحبتى له, إلا أنى لا اتفق معه فى هذا الأمر. فنحن نؤمن بعمل الله المعجزى, كما يتضح ذلك من خلال تاريخ الكنيسة.

هناك رأى آخر يتبين من خلال التقاليد الخاصة بإيبارشية الفيوم, وهو أن خشبة الصليب المقدس قد قسمت على الكراسى الخمسة أيام الامبراطور قسطنطين. وأن الجزء الخاص بكنيسة مصر نقل فى عصر فتح العرب لمصر (ويبدو ذلك مع مجيء البابا بنيامين الـ38 إلى الفيوم) إلى إيبارشية الفيوم, ووضع بدير الملاك غبريال بجبل النقلون. وقد تعود المسيحيون الاحتفال بعيد الصليب (سبتمبر) من كل عام بالتجمع بدير العزب بالفيوم.

⁶⁹ فانسليبي (الأب الراهب): **الكنائس والأديرة فى رحلات الراهب فانسليبي بمصر عام 1672-1673م**, تاريخ أبو

المكارم عن ما كتبه الأجنب والمؤرخون, المرجع المذكور, ص118.

⁷⁰ المقریزی: **كتاب الخطط, تاريخ أبو المكارم ج4**, المرجع السابق ص31.

⁷¹ فانسليبي (الأب الراهب): **الكنائس والأديرة فى رحلات فانسليبي بمصر ...** مرجع سابق ص118.

أيضاً: فتحى خورشيد (الدكتور): **المرجع المذكور** ص88-89.

⁷² **المرجع السابق**, ص89.

⁷³ **المرجع السابق**, ص89.

نشأة وتأسيس الدير

يرجع تاريخ دير الملاك غبريال بجبل النقلون إلى بداية القرن الرابع الميلادي. ومما لاشك فيه أن المعلومات التاريخية عن أديرة الفيوم والمنطقة المحيطة بها محدودة إذا قورنت بتاريخ الأديرة التي في نتريا والقلاى والأسقيط والصحراء الشرقية. ومن الواضح والبديهي أن دير برية النقلون كان له القيادة الروحية والرهبانية بين أديرة الفيوم نظراً لإزدهار الحياة الرهبانية في برية النقلون في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي. وقد وجد مخطوطاً بدير الأنبا أنطونيوس يحمل قوانين رهبانية أرسلها القديس الأنبا أنطونيوس إلى أولاده رهبان دير النقلون بالفيوم¹⁴. ومن المؤكد أن القديس الأنبا أنطونيوس زار هذه البرية أكثر من مرة قبل نياحته وذلك في بداية القرن الرابع الميلادي.

القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ودير النقلون

لقد حظيت التجمعات الرهبانية الكبيرة بإقليم الفيوم (دير النقلون وما يتبعه) برعاية واهتمام أبى الرهبان القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الذى زار الإقليم أكثر من مرة. والتي يرجح أنها تمت إما فى عام 311 أو فى عام 338م. وهذا ما يجعلنا نعتقد أن هذه الجماعات الرهبانية ارتبطت بأطوار الرهبة الأنطونية ومن ثم فهى امتداد للتنظيمات الكثيفة التى شهدتها منطقة نتريا، ووادى النطرون. وهناك شواهد ودلائل تؤكد وتؤيد رجاحة هذا الاعتقاد.

من خلال تتبع العرض التاريخى لرهبة الفيوم نجد أن القديس الأنبا بينوده وهو الملقب بأب أديرة الفيوم هو أحد تلاميذ الأنبا أنطونيوس وكان يعتبر القديس الأنبا بينوده شخصية دينية كبيرة التف حولها الرهبان بالإقليم . كما أنه كان يوجد واحد آخر من أبرز الأباء الرهبان الذين تنسكوا فى إقليم الفيوم وكان رئيساً لعدة أديرة ومدبراً لعشرة آلاف راهب وهو الأب سرابيون.

نظراً لاهتمام الأنبا أنطونيوس بهذه البرية ولما رآه من فضائل عظيمة من قديسيها أرسل لهم رسالة حسب طلبهم، قوانينها فقط التى لم يتم طبعها منفردة فى كتاب منفصل. وهى عبارة عن قوانين رهبانية ووصايا لأولاده الرهبان بدير النقلون¹⁵.

⁷⁴ مخطوط بدير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس.

⁷⁵ راجع نص الرسالة بالملحق رقم (أ-ب) من ملاحق البحث.

من ثم يمكن القول أن الحياة الرهبانية في صحراء الفيوم بجبل النفلون كان لها نفس الازدهار الذي كان في كل من وادي النيل والمراكز الرهبانية الديرية الأخرى.

يرتبط نشأة وتأسيس الدير (دير الملاك غبريال ببرية النفلون) في ذلك الوقت بالقدّيس العظيم الأنبا أورابن ابنة ملك بلاد المشرق وأبوه ابراشيت كما تذكر لنا سيرته المقدسة¹⁶. وقد ذكر أيضاً تكريس كنيسته (كنيسة الملك غبريال ببرية النفلون) في السنكسارين القبطي في 26 بؤونة¹⁷ والأثيوبي في 26 ساني SANE.

من الإشارات الواضحة عن دير الملاك بجبل النفلون، هو ما ورد في عصر الأنبا صموئيل المعترف حيث جاء في الترجمة الأثيوبية لحياته (الأنبا صموئيل): "أن الأخوة الذين كانوا يسكنون بجبل النفلون، عندما عرفوا أن القدّيس الأنبا صموئيل يعيش بجبل القلمون، قدم منهم أربعة عشر راهباً، من أجل أن يكونوا تحت إشراف الأنبا صموئيل، فاستقبلهم بفرح"¹⁸.

مرة أخرى يعتقد الدكتور فتحى خورشيد أن قصة نشأة الدير وتأسيس كنيسة السيدة العذراء به، كما حدّتها العذراء مريم والملاك ميخائيل وغبريال هي قصة أسطورية مثل العديد من القصص القبطية¹⁹.

نحن لا نتفق مع الدكتور فتحى خورشيد لأن كل دين له تقاليده وتراثه ولا يمكن أن تعتقد الكنيسة وتتمسك بأساطير غير أصلية، فهذا لا يتمشى مع المبادئ الدينية المسيحية.

في القرن السابع الميلادي يذكر التاريخ أنه حدث بعد طرد القدّيس الأنبا صموئيل من برية وادي النطرون، ومن دير أبو مقار أنه أقام في دير النفلون ثلاث سنين ونصف، تؤكد مخطوطة بدير الأنبا أنطونيوس أنه عند وصول الأنبا صموئيل المعترف إلى برية النفلون وجد بها حوالي مائة وسبعون ديراً منتشرة حول البرية وذكر أنه كان في استقباله حوالي ألف راهب وكانوا يحترمونهم جداً حيث أنهم كانوا يقدرونه. وعندما أحس الأنبا صموئيل باقتراب أعوان المقوقس لمهاجمة دير النفلون وأجبارهم على الخضوع لعقيدة طومس لاون أفضع الرهبان أن يختفوا خارج الدير حتى ينجبهم الرب من اضطهاد المقوقس. وعندما وصل المقوقس لم يجد أحداً بدير النفلون سوى البواب الذي اعترف تحت وطأة التعذيب بأن الأنبا صموئيل

⁷⁶ راجع سيرة القدّيس الأنبا أور بالفصل الرابع من الباب الأول من البحث حيث الحديث عن نشأة الدير

⁷⁷ السنكسار الجامع لسير القدّيسين والشهداء، مرجع سابق، تحت اليوم السادس والعشرون من شهر بؤونة.

¹⁸ Amelineau (E.C.): *Samuel de Qalamoun*, P.29.

⁷⁹ Abbot (N): "The Monasteries of The Fayum" AJSL 53,1937, P12,16,19,20,21.

أيضاً فتحى خورشيد (الدكتور) : المرجع المذكور ص 89-91.

هو الذى أقنع الرهبان بالهرب. وبعدها استدعى المقوقس الأنبا صموئيل وكاد أن يقتله لولا تدخل عناية الله لانفاذه فأمر المقوقس بطرد الأنبا صموئيل من دير النقلون.

حتى بداية القرن العاشر الميلادى لم تكن هناك معلومات كثيرة عن دير النقلون وخاصة بعد زمن الأنبا صموئيل. وقد ذُكر دير النقلون لأول مرة بعد ذلك فى وثيقة تاريخية ضمن ثلاث وثائق باللغة العربية عثر عليها معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو ترجع إلىالعصر الأخشيدى (323 هـ/935م - 358 هـ/969م) أى فى القرن العاشر. حيث ذكر بالوثيقة الأولى أن (توسانه بنت بسنت) تصدقت (وهبت) بعض ممتلكاتها لديرى النقلون وشلاً²⁰ الديرين اللذين فى الصحراء من كورة الفيوم.

وقد ذكر تقرير البعثة البولندية بجامعة وارسو لأبحاث الآثار فى حوض البحر المتوسط بالقاهرة أنه عند بداية القرن العاشر الميلادى احترقت مبانى الدير²¹ بدأت فى هذا القرن تزداد شهرة دير القلمون لتصل إلى شهرة دير النقلون وتفوقها من منتصف القرن السابع الميلادى. وترتبط شهرة القلمون فى هذه الفترة ارتباطاً وثيقاً بالقدّيس الأنبا صموئيل المعترف. وقد وجد أثناء الحفريات والتنقيب فى مغائر الدير رسالة من البابا خائيل لرئيس الدير بخصوص طالب رهينة فى سنة 992م وهذه تؤكد ازدهار الرهينة بيرية النقلون فى القرن العاشر الميلادى.

فى القرن الحادى عشر الميلادى وجدت وثيقة ثانية هى عبارة عن خطاب قبضى باللهجة القبطية البحرية بخط يد جميل، عبارة عن رسالة من مكروبيوس إلى مكاريوس الذى يبدو أنه بقى وحده فى النقلون. وقد أرسل له مكروبيوس حماراً (كوسيلة انتقال) إلى الأب الراهب مكاريوس يترجاه أن يأتى شمالاً وبمكت معه حتى ينتهى البناء وأن يحضر معه بعض مهماته. والوثيقة بدون تاريخ ولكن نظراً لأنها تحوى كلمة أمير فرما ترجع إلى العصرالإسلامى. نظراً لما يتضح من الرسالة من أن الدير هجر وكانت تجرى محاولة إعادة بنائه يرجح أن يكون زمنها هو الجزء الأول من القرن الحادى عشر. والسطور التالية هى ماأمكن قراءتها من الرسالة

Neklwpi `mmautk aipo ic piw aitabof nak
amou e'ht 'atwn]aten ;bw enkw t]an\wl erh
throu ani `cnau `nkorou `nat\wl pe nemak anok

⁸⁰ فتحي خورشيد (الدكتور) : المرجع المنكور صد95.

²¹ Wlodzimierz Godlewski: *Naqlun Excavations*, 2002, .P1-3.

pai makrob pekcon ;]ini erok `nkalwc
sip`cmou anipa bwc ne .. k;]ini `erok oujai
P_ ani pekaboc pekenkot `n'htf .

"كما يذكر تقرير بعثة الآثار البولندية إنه فى الفترة ما بين القرنين العاشر والحادى عشر تم بناء كنيسة جديدة، وعدد من المبانى السكنية والإدارية فى الجهة الشمالية والشرقية من الدير. أما على الناحية الغربية من الكنيسة وعلى منطقة بقايا الدير المحترق فقد أقيمت مدافن خصصت للسكان المدنيين الذين كانوا مرتبطين بالدير، ويتراوح تاريخها ما بين القرن الحادى عشر والرابع عشر. ولم يوجد بينها أى قبر لراهب²²."

يذكر أبو المكارم²³ 1209م (القرن الثالث عشر الميلادى) عن دير النقلون " Neklwne " : الدير المعروف بدير النقلون وهو دير الملاك غبريال قرب عزبة قلمشاه وهذا الدير يحوى كنيسة على اسم الملاك ميخائيل وبهذه الكنيسة عمود من الرخام يبدو وكأن المياه تتدفق منه. كما يوجد به حصن كبير يطل على جبل. كما يذكر أن الذى وضع أساس هذه الكنيسة فى 13 هاتور وكرسها الرب يسوع وتلاميذه فى 18أبيب. كما يوجد بالقرب من الدير كنيسة للملاك غبريال محاطة بسور [أنشئ قبل الكنيسة] فى 13 أمشير. كما يذكر أبو المكارم أيضاً أن جبل النقلون هو المكان الذى استراح فيه يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم، وقدم فيه العبادة والذبائح لله فى أيام يوسف ابن يعقوب وهذا يعطى أهمية خاصة للدير. والكنيسة تم تكريسها فى زمن أسقفية الأنبا اسحق أسقف الفيوم.

يذكر أبو عثمان النابلسى الصفدى الشافعى فى كتابه عن تاريخ الفيوم وبلاده سنة 1245م أن دير النقلون ودير القلمون ضمن ثلاثة عشر ديراً فى الفيوم²⁴.

من منتصف القرن الخامس عشر بدأت شهرة النقلون تتناقص. ولم يذكر المقريزى شيئاً عن كنيسة الملاك ميخائيل ولكنه يذكر فقط دير الخشبة أو دير الملاك غبريال فيقول " دير الملاك غبريال هو تحت مغارة فى الجبل الذى يقال له طارف الفيوم. وهذه المغارة تعرف عندهم بمظلة يعقوب. ويزعمون أن يعقوب عليه السلام لما قدم إلى مصر كان يستظل بها. وهذا الجبل مطل على بلدين يقال لها أطفيح شيلا وشلا. ويملاً

²² Włodzimierz Godlewski: *Naqlun Excavations*, 2002., P5-7

⁸³ تاريخ أبو المكارم : عن الكنائس والأديرة فى القرن الثانى عشر بالوجه القبليج 2، إعداد صموئيل (الأنبا) المتتيح أسقف شيبين القناطر وتوابعها، القاهرة 2000م ص 91.

⁸⁴ أبى عثمان النابلسى: تاريخ أديرة الفيوم وبلاده، مرجع سابق، ص 22.

الماء إلى هذا الدير من بحر المنهى ومن تحت دير سدمنت. ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى من الفيوم وغيرهم وهو على الطريق الذى ينزل إلى الفيوم ولا يسلكه إلا القليل من المسافرين²⁵. وبمقارنة ما ذكره أبو المكارم والنايلسى عن النقلون والقلمون يمكن أن نلاحظ بوضوح أنه بالرغم من الشهرة القديمة والتاريخ العريق لدير النقلون نجد أنه فى المرتبة التالية بعد القلمون لأن به فقط كنيسةتين ومنازة، بينما القلمون به اثنتا عشر بيعة وأربع منائر. وأما المقريزى فلم يصف إلا القليل كما سبق ذكره.

يعتبر الوصف الذى ذكره العلامة الأب فانسليب أثناء زيارته إلى مصر²⁶، هو أول وصف دقيق لكنيسة الملاك غبريال بجبل النقلون²⁷، حيث يذكر أن دير النقلون يبعد عن الفيوم مسيرة ساعتين فى الطريق، وهو من الأديرة القديمة العهد ولكنه تخرب كله تقريباً عدا الكنيسة الملحقة به. والمكرسة على اسم الملاك غبريال. وهى بديعة الشكل منقوشة كلها من الداخل بصور تاريخية مأخوذة من الكتاب المقدس. وسقف صحن الكنيسة محمول على أعمدة مكونة من أعمدة بأحجار أسطوانية الشكل ويوجد بأسفل هذه الكنيسة كنيسة أخرى مستعملة لحفظ مؤونة الدير بها. وقد بنيت هذه الكنيسة بمعرفة من يدعى (أور) ابن ابراشيت المشهور الذى رزق به من ابنة ملك المشرق. ولقد اندفع القديس أور فى طريق الصلاح والتقوى حتى أصبح بعد ذلك أسقفاً للفيوم. فقام ببناء هذه البيعة المقدسة. وتقول التقاليد أن العذراء مريم القديسة الطاهرة البتول هى التى وضعت أساس الكنيسة وأساس مذبحتها. وأن رئيس الملائكة ميخائيل هو الذى خطط الخورس مع باقى أجزاء الكنيسة. ويشاهد على الجبل القائم خلف هذه الكنيسة من الجهة القبلية خرائب قديمة صغيرة كانت متصلة بها. ويقول القبط أن يعقوب أب الآباء كان يسكنها، لذلك يسمون هذه الخرائب الآن باسم مظلة يعقوب. وفى أعلى الجبل المذكور توجد عدة مغائر كانت مستعملة لسكنى المتعبدين وهى صغيرة الحجم . . .²⁸.

⁸⁵ تاريخ أبو المكارم عن ما كتبه الأجانب والمؤرخون عن الكنائس والأديرة ج4، مرجع سابق ص31.

أيضاً عبد المسيح صليب المسعودى البراموسى (القمص): تحفة الساتلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين، الطبعة الثانية، القاهرة 1999م، ص134.

⁸⁶ زار فانسيليب مصر مرتين، الأولى سنة 1664م وضع فيها تاريخاً للكنيسة القبطية نشرت سنة 1677م بالفرنسية، والزيارة الثانية سنة 1672-1673م ودون فيها مؤلفاً نقل عنه ما ذكر سابقاً "

⁸⁷ فتحي خورشيد (الدكتور) : المرجع المذكور، ص97 .

فى خلال الفترة من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادى لم يذكر أحداً من الرحالة سواء كان السائح بوكوك Pococke الذى زار إقليم الفيوم عام 1745م، أو غيره، أى شىء عن دير النقلون²⁹.

فى القرن العشرين ذكر الرحالة سومركلارك 1912م، أن دير الملاك ضمن قائمة بأديرة وكنائس إيبارشية الفيوم والجيزة. ومن المرجح أنه تم تجديد كنيسة الملاك غبريال فى عهد القديس الأنبا إبرام أسقف الفيوم والجيزة المنتيخ فى 1914/6/10م. وهذا يتأكد من زيارة السائح جوهان جورج 1927-1928م الذى زار الدير بعد التجديد فى كنيسة دير النقلون فقال: "تظهر الكنيسة كأى كنيسة أخرى. تدخل الكنيسة وتجدها جميلة جداً وترجع إلى القرن السابع تقريباً. بها تيجان الأعمدة الكورنثية ومنبر القراءة "المنجلية" ترجع إلى القرن السابع الميلادى. وهى جميلة جداً والسقف الخشبى للكنيسة جميل أيضاً".

يصف أوتومناردس Otto Meinardus فى سنة 1968م كنيسة الملاك غبريال فى دير النقلون قائلاً أنها كنيسة تتبع إيبارشية الفيوم. وكان كاهنها الذى يخدمها فى ذلك الوقت يسكن فى عزبة قلمشاة. ولا تقام الخدمة بها بانتظام. وفى وقت عيد الملاك غبريال يجتمع عدد كبير من الأقباط من الفيوم وغيرها إلى دير النقلون ويسكنون الأماكن المحيطة بالدير المبنية التى كانت مخصصة لهذا الغرض³⁰. وقد ذكر المقريزى هذا العيد. وبذلك يمكننا القول اليقين أن دير الملاك غبريال الشهير بدير الخشبة بجبل النقلون هو من الأديرة القديمة التابعة لإيبارشية الفيوم، ويرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادى، وبذلك يعد من أقدم الأديرة فى الكرازة المرقسية.

الفريسات³¹ والأيقونات³² الأثرية بكنيسة الملاك غبريال بجبل النقلون

فكنيسة الملاك غبريال بالدير مليئة بالفريسات الجدارية الأثرية وهذه الفريسات تدل على قدم الكنيسة. الفريسات يمكن أن ترسم على الحائط بعد أعمال المحارة مباشرة، (جديدة) بحيث تثبت الألوان

⁸⁹ فتى خورشيد (الدكتور): المرجع المنكور ، ص66.

³⁰ Otto. F. A.Meinardus Op. cit,p 332-333.

أيضاً المقريزى، المرجع السابق، ص31

⁹¹ كلمة فريسا بالأيطالى أو الأسبانى بمعنى قرش وبمعنى حديث أو جديد.

⁹² كلمة أيقونة فى معناها الشامل قد يعنى فسيفساء أو سطحاً مزخرف البناء أو الرسوم الجدارية (الأفريسك) إذ أن أصل الكلمة فى اليونانية يعنى صورة.

(تنتشف) مع المحارة والصورة تثبت فى الحائط. أويمكن أن ترسم بالحفر أولاً وبعد ذلك تعمل الألوان بالمحارة وتملاً الخطوط للتلوين وتكمل الصورة.

تاريخ الفريسات الموجودة فى الكنيسة

يوجد بعض الفريسات الجدارية من القرن التاسع أو العاشر. ففى شرقية هيكل الملاك غبريال (الهيكل الأوسط الرئيسى) توجد ثلاث فريسات فوق البعض هى صورة للصليب رسمت فى القرن الثامن أثناء بناء الكنيسة للمرة الثانية. ثم رُسم فوقها صورة أخرى لبعض القديسين ترجع إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادى. ورسم فوقها مرة ثالثة صورة للسيدة العذراء مريم تحمل الرب يسوع على ذراعيها ترجع إلى القرن الحادى عشر. وبداخل الهيكل تحت فريسة الرسل يوجد تاريخ باللغة القبطية وهو (749 للشهداء . 1033 ميلادية)، وتاريخ اخر فى الحائط الجنوبى للهيكل (899 ش . 1083م) يشير إلى دفن أسقف فى هذا المكان. على الحائط الغربى للكنيسة توجد كتابة للشماس يوانس الأقفهصى (1022 . 1033م) تشير إلى نهاية العمل بالفريسات.

يرجع رسم الكنيسة بالفريسات إلى القرن الحادى عشر للشماس يوحنا الأقفهصى ما بين (1022- 1033م) أى بداية القرن الحادى عشر. وكل فريسات الكنيسة تم اكتشافها فى الفترة الأخيرة فى عام 1991م وبذلك عرف أنه يوجد صور على الحوائط وكان ذلك أثناء الترميمات حيث وجدت تحت البياض السطحى للكنيسة، بعد أن كانت مطموسة (مغطاة) بطبقة خفيفة من المحارة. وتم إظهار هذه الفريسات بمساعدة البعثة البولندية . التى تأتى إلى الدير كل عام . وقاموا بترميمها.

الفريسات الموجودة داخل الهيكل الأوسط (هيكل الملاك غبريال)

يوجد أيقونة جدارية⁹³ فى أعلى قبة الهيكل وهى تمثل صورة Pantokratwr (ضابط الكل) ولكن ليست كاملة وهى فى انحاء قبة الهيكل. كما توجد صور أيقونة جدارية توضح التلاميذ

⁹³ صورة الفريسة بملحق الصور (1-أ).

الأثنى عشر وإن كان أحد التلاميذ غير كامل. ويوجد أسماء أحد التلاميذ باللغة القبطية. واسم أحد البطارقة وهو البابا زخارياس. ويوجد أيضاً اسم أسقفان مكتوبان باللغة القبطية وهما الأنبا يوانس والأنبا سلوانس.

فى جوانب الهيكل

فى الجانب البحرى للهيكل أيقونة جدارية للقديس مارمرقس الرسول، وفى الجانب القبلى مقابلها أيضاً أيقونة جدارية للقديس البابا أثناسيوس الرسولى. ولمشابهة هاتين الأيقونتين مع الأيقونتين اللتين بهيكل كنيسة الأنبا انطونيوس بالبحر الأحمر يتضح أن رسم الأيقونات فى كل منهما كان فى قرن واحد تقريباً هو القرن الحادى عشر.

فى شرقية الهيكل (حضان الآب) وجد ثلاثة صور مرسومة فوق بعضها³⁴، الأولى وهى صورة الصليب المقدس مع بناء الكنيسة فى القرن الثامن. والثانية (فوقها) رسم لصورة السيد المسيح أو أحد القديسين (غير مؤكد حتى الآن). والثالثة (فوق الصورة الثانية) رسم صورة للسيدة العذراء مريم وهى تحمل السيد المسيح. وقد قامت البعثة البولندية مؤخراً بإخراج الصورة الثالثة هذه على لوح خشب على ثلاث أجزاء كما هى بالمحارة المرسومة عليه، وبذلك تم إظهار الصورة التى كانت خلفها وهى موجودة حالياً فى حضان الآب (ترجع إلى القرن العاشر).

هناك رأى لأحد العلماء الذين زاروا الدير مؤخراً وهو اليكسندر (يعتبر أفضل خمس علماء فى العالم فى فن ورسم الأيقونات) يقول " أن الصورة هى لأحد الأساقفة القديسين الذين تربطهم علاقة قوية بالدير أو على الأرجح أنه من مؤسسى الدير".

قامت البعثة البولندية بترميم صورة السيدة العذراء ووضعت فى الجانب الغربى للكنيسة فوق الباب القبلى المغلق للكنيسة فى الدكسار³⁵. وفى الحائط القبلى الشرقى من ناحية هيكل العذراء مريم توجد صورة لثلاث من الآباء والكتابة المكتوبة ترجع للقرن الحادى عشر وتعرفنا أنهم من الآباء السواح غالباً. وتحت هذه الصورة توجد صورة للسيد المسيح ومعه أحد الآباء وترجع للقرن التاسع أو العاشر.

بالنسبة لحوائط الكنيسة

⁹⁴ صورة الفريسة بملحق الصور (1-ب).

⁹⁵ وهو الحائط الذى يفصل بين ممر الكنيسة والخوارس الثلاثة. (الرواق أوالدلهيز أو الدكسار) أى ممر الكنيسة.

وجد على الحائط الغربى للكنيسة (فى الدكسار), فى الجانب البحرى له صورة للأنبا انطونيوس أبو الرهبان³⁶ والحائط نفسه ملئ بالفريسات. كما توجد صورة للسيد المسيح البانطوكراطور تحمله الأربع الحيوانات (الكائنات) الغير متجسدين وهو علنالصليب يمنح البركة وداخل الكرة الأرضية³⁷. وهذه الأيقونة لها عدة معانى. نرى السيد المسيح جالس أو مالك على خشبة بمعنى مالك الكل, والكرة الأرضية تشير إلى العالم كله بمعنى أن السيد المسيح هو ضابط الكل ومالك العالم كله. كما توجد صورة للقديس بتشوشو (والاسم مكتوب على الصورة بالقبطى)³⁸. حيث أنه توجد مثل هذه الصورة بدير الأنبا انطونيوس, ويذكر القديس بتشوشو خلال تسبحة شهر كيهك فى مجمع القديسين. كما توجد أيضاً صورة للسيدة العذراء وهى جالسة على الكرسي وتحمل السيد المسيح وحولهم رؤساء الملائكة (الملاك ميخائيل - الملك غبريال)³⁹.

هذا هو ما تبقى من الفريسات بهذا الجانب لأن الحوائط كانت مليئة بالأيقونات الجدارية الأثرية والكثير منها خرج مع طبقة المحارة, والجزء الآخر خلال الترميمات وأثناء عمل شبك فى أعلى الكنيسة. وفى جزء من الحائط الغربى فريسات من القرن الحادى عشر وقد رسمها الشماس يوحنا (كما هو مكتوب على هذا الحائط).

على الحائط البحرى للكنيسة, وجدت أيقونات جدارية لرئيس الملائكة الجليل ميخائيل, وبجواره القديس مرقوريوس أبى سيفين وهو يطعن يوليانوس الكافر بالحرية وحولهم اثنين من القديسين.

الأيقونات الأثرية الموجودة بالدير

يوجد أربعة أيقونات أثرية داخل الكنيسة

- 1- أيقونة أثرية لرئيس الملائكة الجليل غبريال ويرجع تاريخها لبداية القرن التاسع عشر.
- 2- أيقونة أثرية للسيدة العذراء تحمل السيد المسيح بتاريخ 1573ش/1857م وقد قام برسمها أنسطاسى الرومى.

⁹⁶ صورة الفريسة بملحق الصور (1- ج).

⁹⁷ صورة الفريسة بملحق الصور (1- د).

⁹⁸ صورة الفريسة بملحق الصور (1- هـ).

⁹⁹ صورة الفريسة بملحق الصور (1- و).

3- أيقونة للسيد المسيح بعد إنزاله من على الصليب وهى أيقونة الدفنة وتوضح الأيقونة العذراء والمريمات والملاك ميخائيل والملاك غبريال ونيقوديموس ويوسف الرامى. ويرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وهى من القدس بأورشليم.

4- أيقونة نادرة أثرية بها 34 صورة توضح أحداث من العهدين القديم والجديد وتتكلم عن الفداء والدينونة، ومحاسبة النفس. وهى أيضاً من القدس بأورشليم، ويرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادى، وكل هذه الأيقونات مرسومة على قماش من الكتان الملصق على أخشاب قديمة.

ثانياً : كنيسة الملاك ميخائيل بجبل النقلون

توجد هذه الكنيسة بجوار الكنيسة الرئيسية للدير التى على اسم الملاك غبريال. وهى صغيرة الحجم نسبياً، وتحتوى أجساد الآباء الشهداء (شهداء الفيوم). وهذه الكنيسة تم اكتشافها حديثاً لأنها كانت متهدمة من قبل وبدون سقف.

يرجع تاريخ بناء الكنيسة⁴⁰ إلى القرن الخامس عشر الميلادى. ويؤكد ذلك مخطوطة بالمتحف القبطى تذكر أن تكريسها كان فى عهد البطريرك البابا يوانس الـ11، الذى تولى البطريركية عام 1427م. وبعد مرور الزمن سقط سقف الكنيسة وُدمت بالتراب ولكن شاء الرب باكتشافها. فمع بدء إزالة التراب من الكنيسة ظهرت أراشى وحوائط أثرية للكنيسة كما هى بالطوب القديم، فتم ترميم الكنيسة وعمل سقف لها، وتم تدشينها فى 26 بؤونة الموافق 1994/7/3م. ويحتفل بهذا العيد (عيد تكريس الكنيسة) فى نفس يوم تكريس كنيسة الملاك غبريال 26 بؤونة من كل عام.

المعمودية

كانت المعمودية . قبل التجديدات . توجد مكان هيكل الملاك ميخائيل(الكنيسة القديمة). ولكن بعد اكتشاف الكنيسة والصلاة فيها وتدشينها، نقلت المعمودية إلى الجزء الغربى الشمالى للكنيسة وهو الوضع الأسمى للمعمودية.

شهداء الفيوم وكيف تم اكتشافهم مع وصف لهم

¹⁰⁰ باسيليوس الصموئيلى (القمص): *بستان النقلون*, مرجع سابق, ص37.

لم يكن هناك تدبيراً بشرياً للبحث عن أجساد شهداء الفيوم. بل هو ترتيب وتدبير إلهي، الذي قال " أكرم الذين يكرمونني" فهو الذي أراد إظهار واكتشاف هذه الأجساد المقدسة، وبِرمِ الاختلاف الذي حدث بين كل من مفتش الآثار، وخدام الدير على اختيار المكان الذي يتم فيه عمل خزان صرف صحي، تم اختيار هذا المكان الذي وجد فيه أجساد هؤلاء الشهداء القديسين ولذا نعتبر ذلك بتدبير من الله.

تمت عملية الحفر، وبدأت أولى اكتشافات هذه الأجساد في يوم 1991/7/28م، حيث وجد في ذلك اليوم ثلاثة أجساد. كان أحدهم مدفون ببرنس مطرز بالصلبان، كما وجدت المنطقة الجلدية، بالإضافة إلى ملابسهم التي تدل على إنهم من الآباء الرهبان.

استمر العمل مرة أخرى، في يوم 1991/8/25م، تم اكتشاف المزيد من الأجساد بعضهم موضوع في صناديق قديمة مصنوعة من الجريد، والبعض الآخر مدفون بدون صناديق. وهنا نجد ملاحظة لقوة عمل الله مع قديسيه وشهداءه اللذين ماتوا من أجله واحتملوا كل العذابات. أن الصناديق الخشب تأكلت متأثرة بالزمن وعوامل الطبيعة، أما الأجساد التي وجب تحللها وفنائها قاومت الزمن واتخذت أمراً إلهياً لكي تكون شاهدة على عمق وحقيقة الإيمان مدى الأجيال. وقد وجد بأحد الصناديق جسدين متجاورين داخل صندوق واحد، كان أحدهم بدون رأس والأخر رأسه منفصلة عن جسده.

في يوم 1991/9/1م تم اكتشاف جسد لطفل داخل صندوق ويبدو أن طريقة استشهاده كانت الخنق⁴¹، لخروج لسانه من فمه. وصار هذا اليوم عيد استشهاد هؤلاء الشهداء القديسين تذكراً لظهور أجسادهم، ويطلق عليه (عيد شهداء الفيوم) الموجودة أجسادهم بدير الملاك الجليل غبريال ببرية النقلون.

يجب ملاحظة أنه لم يوجد أي دليل كتابي يعرفنا أسماء هؤلاء الشهداء، أو قصة حياتهم أو على يد من الحكام نالوا الشهادة. ولكن من خلال ملابسهم الخاصة والتي توضح أنهم من الآباء الرهبان اللذين عاشوا في هذه البرية. وأيضاً من خلال آثار التعذيب تم التعرف على إنهم شهداء لأنه يوجد بأجسادهم عذابات مختلفة. فأحد الأجساد مطعون طعنات كثيرة بألة حادة مثل سيف أو سكين. وآخر بطنة محروقة، وآخر رأسه مقطوعة. وكانت ملابسهم متشعبة بالدماء رغم أنهم نالوا الشهادة من آلاف السنين. ومن أكثر العذابات الواضحة عذابات الطفل الصغير الذي يتراوح عمره ما بين 6 أو 7 سنين فنجد أن لسانه بارز وكذلك عينيه بارزة للأمام، وهذا يدل على أنه تم استشهاد بالخنق. كما لا توجد أذنه اليسرى، ولا شفائيف فمه بل مقطوعين. كما نجد أصابع يده اليسرى واضح عليها آثار التعذيب والحرق فهي مكوية بالنار ومقطوع

¹⁰¹ هذه الطريقة (الخنق) طريقة شهيرة في شهداء العصر العربي.

منها ثلاث أصابع ولا يوجد إلا صابعين فقط. وأيضاً كل أصابع رجله اليمنى مقطوعة وواضح آثار التعذيب بالحرق والكي عليها مع عذابات أخرى كثيرة.

هناك طفل آخر صغير. نجد أنه يغيب عن جسده أحد قدميه، وأن كفة يده اليسرى مطبقة على ذراعه والكفة الأخرى مطبقة إلى الخارج. ورغم أنهم شهداء أطفال لكنهم احتملوا كل هذه العذابات من أجل اسم ربنا يسوع المسيح كباقي الأطفال الشهداء في تاريخ الكنيسة.

كما وُجد أحد الآباء في صندوق جريدى وبيديه حلقات من الحديد والمعدن⁴². أحدهما مثل طوق مطبقة على بعضها وأخرى عبارة عن حلقة حديدية مفتوحة من الجنب. وقد تكون من بقايا سلاسل. وكان هو الوحيد الذى يلبس برنس مطرز بالصلبان وعلى كتفيه شال ولحيته كبيرة. لذلك من المحتمل أن يكون هو رئيس الدير أو أحد الأساقفة. وقد استشهد بكسر فى رقبته وهذا يعرفنا بأن الشهداء نالوا الشهادة تقريباً فى القرن الثامن الميلادى. والدليل على ماسبق ذكره أن هذه الكنيسة (كنيسة دير الملاك غبريال بيرية النقلون) تم إعادة بناؤها فى القرن الثامن الميلادى بعد أن تهدمت الكنيسة الأولى التى بناها القديس أور فى القرن الرابع الميلادى. فلذلك نجد أن الأعمدة الموجودة بالكنيسة ترجع للقرن الرابع والخامس وعليها تيجان مركبة تركيب. وأيضاً داخل حوائط الكنيسة يوجد قواعد عمدان وحجارة وبعض الحجارة واضح عليها النقوش. وكذلك داخل الحوائط طوب أحمر وطوب لبن قديم. ونستشعر من ذلك أن الاضطهاد الذى حدث فى القرن الثامن كان اضطهاداً شديداً للدير، وأن عدداً كبيراً من الرهبان قد نالوا أكليل الشهادة وآخرين لم ينالوا الشهادة وقتها فقاموا بدفن أجساد الشهداء، وبنوا الكنيسة مرة أخرى فى نفس المكان. ويبدو إنهم أخذوا من المبانى والحجارة والأعمدة القديمة وغير ذلك، وقاموا ببناء الكنيسة مرة أخرى فى أسرع وقت لكى لا تتدنس مثل غيرها ولاسيما أنها الكنيسة الرئيسية بالدير.

¹⁰² وهنا يمكن أن تكون لنا ملاحظة على وجود الحلقات الحديدية فى يد هذا الشهيد الكبير أنه كان فى العصر الأموى يجبرون المسيحيين والرهبان على دفع الضرائب ومن لا يدفع الضريبة يوضع فى يده خاتم أو حلقة حديدية وكان ذلك فى القرن الثامن تقريباً. ومن الواضح أن هذا الأب الشهيد كان ينوب عن كل الرهبان فيدفع عنهم الجزية